الصور البيانية و البديعية في سورة الإسراء

أمل محمد عبد الكريم العبد الله
كلية الدراسات التاريخية – جامعة البصرة

الخلاصة: هذا البحث هو دراسة بيانية و بديعية لسورة الإسراء، تمت من خلال الآيات المباركة لهذه السورة درست الألوان البيانية من إستعارة و مجاز ثم الإنتقال إلى دراسة ألوان البديع المعروفة من إيجاز و طباق و مقابلة و الإلتفات بالإضافة إلى اللون البديعي المعروف بـ (براعة الإستهلال) الذي افتتحت به السورة الكريمة، و غيرها من أنواع البديع المعروفة الذي تلونت به السورة تلوناً يثبت المعجزة الباهرة و هي معجزة الإسراء التي خصّها الله تعالى نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) و شرّفها به و هي الدليل القاطع و البرهان الساطع التي تثبت إن الله وحده لا شريك له و تبعد قول الكفّار من إتخاذه الصاحبة و الولد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

المقدمة : سورة الإسراء من السور المكية التي تهتم بشؤون العقيدة و الوحدانية كما هو شأن باقي السور المكية فهي تعتني بأصول الدين و الرسالة و بعثة النبي محمد (صلى الله عليه و على آله وسلم) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى و عروجه إلى السماء الدنيا في تلك الليلة المباركة، فهو بطبيعة الحال مظهرٌ من مظاهر التكريم الإلهي لخاتم الأنبياء و المرسلين و آية باهرة تدل على قدرة الله جلّ و علا في صنع العجائب و الغرائب، فالسورة المباركة بذلك ضمت أغلب الفنون البيانية و البديعية التي صورها الأسلوب القرآني و تلون بها تلوناً أعجز ضلالات المشركين و بهر عقولهم عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن أو القيام بفعل شيء صغير بقدر الذبابة على ما فعله الله تعالى في إسراء نبيه الكريم إلى السماء الدنيا، ثم تعنتهم و إقتراحاتهم حين طلبوا معجزة أخرى غير القرآن بأن يفجر الأنهار و يجعل مكة حدائق و بساتين، فمن هذه الأقاويل و غيرها جاءت السورة و تلونت بهذه الألوان التي أضفت إليها صبغة فنية و جمالية تضاف إلى صبغتها و جمالها، بالإضافة إلى قوة العبارة و الأسلوب الدقيق الذي كانت عليه السورة و غير ذلك من هذه الألوان.

و على ذلك فإن لعلم البيان و علم البديع بحثاً خاصاً في سورة الإسراء ، إذ أن لهذين العلمين ميزات خاصة شكلت القيمة الفنية و البلاغية التي إحتوتها السورة الكريمة، فأشتمل علم البيان على أكثر

علومه، و أشتمل علم البديع على أغلب علومه أيضاً، فكل هذه العلوم صورها التعبير القرآني و أبدع في تصويرها فهو يعد الأداة المفضلة التي يعبر من خلالها عن الصورة المحسة المتخيلة و ((عن المعنى الذهني و الحالة النفسية و عن الحادث المحسوس و المشهد المنظور و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيأة أو حركة و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد و إذا النموذج الإنساني شاخص حي و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية)). [1]

فنرى القرآن الكريم يعدل من أسلوب إلى آخر ليصور لنا بذلك صورة أخرى أو مشهداً مثيراً للنفس البشرية إذ أنه يختار من الألفاظ ما تمثل دلالات مستقلة تكمن في وحدة فكرية منسجمة و منتظمة ليصورها بصور فنية رائعة تحرك العقل و تثير النفس و الوجدان و المخيلة [2] و بما أن سورة الإسراء هي من السور المكية التي تهتم بشؤون العقيدة و الوحدانية و الرسالة ثم إنها رسمت من خلال آياتها شخصية الرسول محمّد (صلى الله عليه و آله و سلّم) و معجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر هذا التكريم لخاتم الأنبياء و المرسلين، فإن الغريب في هذه السورة من خلال الدراسة لفنون البيان و البديع أنها خلت من موضوع التشبيه الذي يعد الركيزة المهمة من ركائز علم البيان، و لعل السبب في ذلك أنها من بدايتها أو من أسم السورة (الإسراء) إنها عنت بإسراء النبي محمّد (صلى الله عليه و آله و سلم) و عروجه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إنتقلت إلى القضايا الأخرى التي تحدثنا عنها مسبقاً من أمور الأخلاق و العادات الإجتماعية و كيفية البعث و النشور، فلعل هذه الأمور كلها هي من الأسباب التي دعت الأسلوب القرآني يبتعد عن التشبيه، و نقصد بذلك تشبيهات الكفّار و المشركين بتشبيهات مختلفة كما في باقي السور القرآنية، و هذا لا يعني أن السورة لم تتحدث عن ضلالات المشركين حين نسبوا إلى الله تعالى الصاحبة و الولد أو ينسبون إليه تعالى البنات المتنزه عن التشبيه و النظير ((**أ فأصفاكم ربكم بالبنين و إتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً**))[3]، و لهذا لم يذكر التشبيه في هذه السورة.

علم البيان

المجاز: هو مفعل في جاز الشيء يجوزه إذا تعداه فإذا عدل باللفظ عما يوجبه وصف بأنه مجاز مثل لفظ الأسد توصف للشجاع فهي مجاز، و اليد للنعمة أو القوة، فإن النعمة تعطى باليد و القوة تظهر بكمالها في اليد[4] أما المجاز في الإصطلاح فهو ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني و الأول)) [5]. و المجاز على هذا وصف بلاغي يأتي به القرآن الكريم

بصور فنية عديدة و متنوعة، فنجده في حالة الخطاب يأتي الأسلوب القرآني بصيغ المجاز المعروفة و بإسلوب فني يلائم السياق الذي عليه الآية و إذا عدل عن ذلك إلى أسلوب التحاور و التوجيه جاء بإسلوب مجازي يصور هذا المشهد مع دقة المعاني و إختيار الألفاظ لتتلائم و نوع الصورة التي أراد أن يعبر عنها.

و قد ورد في سورة الإسراء من الصور المجازية الكثيرة و المتنوعة تتنوع بتنوع الإسلوب سواء أكان ذلك في التحاور أم في الخطاب أم في الحث و العناية بالأمور الدنيوية و الأخروية، و من ذلك قوله تعالى : **((و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم و لتعلموا عدد السنين و الحساب و كلّ شيء فصلناه تفصيلاً))** [6] .

فالمجاز في هذه الآية الكريمة واقع ضمن ما يعرف بالمجاز العقلي، لأن النهار لا يبصر فيه فهو من إسناد الشيء إلى زمانه فعدل القرآن الكريم من الحقيقة إلى المجاز العقلي الذي ((يسند الفعل أو شبهه إلى ما غير هو له أصالة لملابسته له)) [7] فقال (و النهار مبصراً) و ذلك لأن النهار لا يبصر بل يبصر من فيه فجمع بين التعبير الحقيقي و المجازي و دلّ على المقصد الأول من الآية و هو الدلالة على النعمة بأقرب طريق فكسب المعنى و الفن معاً، و لو قال (لتسكنوا فيه و لتبصروا فيه) لفات التعبير الفني الجميل تعبير المجاز، و لو قال (ساكناً و مبصراً) لفاتت الدلالة على النعمة التي هي المقصد الأول من هذه الآية ، و لو قال (ساكناً و لتبصروا فيه) لفاتت المجاز في التعبيرين و لكان التعبير سمجاً لا معنى له، فلننظر كيف دلّ على المعنى بإسلوب فني جميل من أخصر طريق و أيسره، فلو وضع الكلام بأيّة صورة غير الصورة التي عبر بها القرآن ما أدى هذا المؤدى، علاوة على ما في جعل النهار مبصراً من جمال و زيادة في المعنى و دقة التعبير و روعته[8]. ثم أنه تعالى في ضمن آية الليل جعله مظلماً للراحة و السكينة و جعل النهار مضيئاً مشرقاً ليحصل فيه الإبصار و ليطلب الإنسان فيه أسباب المعيشة لذلك فأنه تعالى خصّ النهار بالإبصار لكثرة نوره و شعاع شمسه لهذا كان المجاز فه زماني ليدل على وقت النهار وزمانه [9].

و مما ورد في ذلك أيضاً قوله تعالى : **((و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون و أتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها و ما نرسل بالآيات إلا تخويفاً))**[10]، ففي قوله تعالى:((الناقة مبصرة)) نجد أنها واقعة ضمن المجاز العقلي، أي أنه تعالى أراد من ذلك، أنه لمّا كانت الناقة سبباً في إبصار الحق و الهدى نسب إليها الإبصار، فهو مجاز عقلي علاقته السببية[11]. فالناقة هي سبب في إبصار الحق و معجزة ساطعة واضحة للذين كذبوا ثمود و أرادوا عن طريق الباطل و الكفر، لكنهم كفروا

بعد ذلك، فأراد الله بإبصار الناقة مغزى عظيماً و هو أنه ما يرسل من الآيات، كآيات القرآن و غيرها إلا تخويفاً و إنذاراً بعذاب الآخرة [12]. فعدل عن المعنى بإسلوب جميل و تعبير دقيق لا يتناسب الكلام لو أنه حذف منه شيء أو أُبدل من كلام آخر.

و مما ورد من أنواع المجاز في هذه السورة المباركة هو ما يسمى بالمجاز المرسل و هو ((ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه و ما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت في النعمة المقصود بها))[13]. و من ذلك قوله تعالى: **((أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً))**[14].

فلننظر إلى دقة التعبير القرآني في إختيار اللفظ الجميل الموحي و المعبر بـ (قرآن الفجر) حيث أطلق لفظ الجزء على الكل أي قراءة الفجر و المراد بها الصلاة لأن القرآن الكريم جزء منها، فالعلاقة تسمى حينئذ بالجزيئة. [15] و قال الزمخشري في كشافه ((إن قرآن الفجر هي الصلاة و هي صلاة الفجر سميت قرآناً، لأنها ركن كما سميت ركوعاً و سجوداً و قنوتاً))[16].

على هذا فالمجاز توسع في نقل الألفاظ من معناها الأصلي إلى معانٍ جديدة تعد إنحرافاً أو عدولاً عن الأصل إلا أنه توسع مرتبط بضابط علائقي و ما دام المرجع في فهمها يعود إلى الكلام نفسه فإن ذلك يمنح المجاز قدرة على إضافة دلالات جديدة تخضع لخبرات المتكلمين و قدرتهم على إدراك المتغيرات في الظواهر اللغوية فضلاً عن ربط اللغة بالتطور الحضاري. [17] و يدخل ضمن ذلك ما يسمى بالإسناد المجازي، فكما أن المجاز هو العدول أو إنحراف عن الحقيقة فهو عدول اللفظ عن موضعه الأصلي إلى موضع آخر يلائمه فالإسناد المجازي على هذا هو ما يوافق المجاز في الإنحراف عن الموضع الأصلي إلى موضع آخر، من ذلك قوله تعالى: **((وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون))**[18]. فالمنع محال في حق الله تعالى لأنه جلّ و علا لا يمنعه عن إرادته شيء، فالمنع مجاز عن الترك أي ما كان سبب ترك إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين [19].

على هذا فقد تضمنت السورة في بعض آياتها المجاز بنوعيه العقلي و المرسل و تناولته بإسلوب فني كان في غاية الروعة و البيان إذ أن المدلول المجازي لا ينفي فكرة النقل عن الأصل الحقيقي أو العدول عنه [20]. لذا فأن هذا الفن البياني يجعل القارئ أو السامع للقرآن الكريم منفتحاً على آفاق واسعة في المعاني و بما يلائم إنحراف التعبير. و يعد التصرف العقلي عاملاً مهماً في نقل الدلالات الحقيقية إلى المجازية [21].

الإستعارة

لون بياني و أسلوب من الأساليب التي يعبر بها القرآن الكريم و يرسمها لنا بصور تكون في غاية الروعة و الدقة في إختيار الألفاظ و وضعها الوضع الحسن و عرف إبن المعتز الإستعارة بأنها: ((إستعارة الكلمة من شيء قد عرف بها إلى شيء لم يعرف بها))[22]. فهي تعني نقل الألفاظ من معنى إلى معنى آخر غير المعنى الموضوع لها، و لا بد لهذا المعنى من أن يكون له دلالة حقيقة لذ فإن كل إستعارة ((لابد لها من حقيقة و أصل الدلالة على المعنى في اللغة))[23]. و مما ورد في سورة الإسراء من الإستعارة، قوله تعالى: ((**و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً**))[24]. في قوله تعالى (طائره في عنقه) إستعارة لطيفة عبّر بها القرآن الكريم، حيث إستعار لفظ طائره لعمل الإنسان و لما كان العرب يتفاءلون و يتشاءمون بالصبر سمّوا نفس الخير و الشر بالطائر بطريق الإستعارة [25].

فالإستعارة في هذه الآية كانت إستعارة مكنية لطيفة قرّب بها الأسلوب القرآني الصورة إلى حال القارئ أو السامع للقرآن بلفظ (الطير) ليكسب المعنى قوة في طابع التحدي إن الله تعالى لا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة فكله مسجّل في كتاب يفتح أوراقه يوم القيامة فالإستعارة في هذه الآية أكسبت المعنى قوة و تماسكاً وتناسقاً بين أجزاء الآية و منه أيضاً قوله تعالى: ((**و يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم و لا يظلمون فتيلاً**)) [26]. فإستعار لفظ (بإمامهم) أي الإمام الذي يتقدم الناس في الصلاة و قد أستعير هنا لكتاب الأعمال لأنه يرافق الإنسان و يتقدمه يوم القيامة [27].

و من أنواع الإستعارة التي وردت في هذه السورة المباركة، ما يعرف بـ(الإستعارة المكنية) و هي التي إختفى فيها لفظ المشبه به و إكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه [28]. و من ذلك قوله تعالى: ((**و أخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربي أرحمهما كما ربياني صغيراً**)) [29]. فقد شبه الذل بطائر له جناح و حذف الطائر و رمز له بشيء من لوازمه و هو الجناح على سبيل الإستعارة المكنية [30]. فلفرط خفض الجناح للوالدين و التذلل لهما و التواضع و الرحمة بهما إستعار اللفظ القرآني كلمة (جناح) كنوع من المبالغة و الغلو في إثبات الجناح للذل [31].

و مما ورد من أنواع الإستعارة ما يعرف بالإستعارة التمثيلية، و هي تشبيه لفظ بمشبه له على سبيل الإستعارة، و من ذلك قوله تعالى: ((**و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً**))[32]. ففي الآية إستعارة تمثيلية ، ضرب القرآن الكريم مثلاً للبخيل بالذي حبست يده

عن الإعطاء و شدت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدها و شبه السرف ببسط الكف بحيث لا تحفظ شيئاً[33]. فإستعار لفظ اليد المغلولة و المبسوطة لتمثيل حالة البخل و الإسراف فإن أمسكت يدك قعدت ملوماً مذموماً و إن أسرفت بقيت متحسراً مغموماً [34].

و من ذلك أيضاً قوله تعالى: **((و إستفزز من إستطعت منهم بصوتك و أجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم في الأموال و الأولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً))**[35]. ففي قوله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك و رجلك) تمثيل حال الشيطان في تسلطه على من يغويه بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداء لإستئصالهم [36].و هذا تصوير بالغ في الدقة و تمثيل رائع في غاية من الإعجاب و سحر من البيان و البلاغة، قال تعالى: **((و يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم و لا يظلمون فتيلاً))** [37] ففي قوله تعالى (لا يظلمون فتيلاً) مثل يضرب للعلة أي لا ينقصون من ثواب أجورهم و لا بمقدار الخيط الذي في شق النواة [38]. فالصورة الإستعارية في سورة الإسراء لها قيمة فنية و بلاغية بارزة صوّرت الأحداث تصويراً يعجز أي أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن فهو يجسم المعنى و يهب للجماد العقل و الحياة زيادة على تصويره للمعنى و تمثيله للنفس [39].

علم البديع

البديع هو ((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، أي يتصور معانيها و يعلم أعدادها و تفاصيلها)) [40] إذ له من الوجوه و المزايا ما تزيد الكلام حسناً و حلاوة و تكسوه بهاءً و رونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظاً و معنى [41].

و من أروع ما بدأت به السورة الكريمة هي براعة الإستهلال، حيث بدأ بقوله عزّ وجلّ **((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير))**[42]. فبدأت بلفظ (سبحان الذي أسرى) أي بدأت بلفظ يشير إلى الكمال و تنزه الله تعالى عن صفات النقص، فهو مظهر من مظاهر التكريم الإلهي ، لخاتم الأنبياء و المرسلين، و آية باهرة تدل على قدرة الله جلّ و علا في صنع العجائب و الغرائب [43].

و ذكر الزمخشري في كشافه: إن براعة الإستهلال في لفظ (سبحان) الذي بدأت به السورة الكريمة هو علم للتسبيح منصوب بفعل مضمر تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل منزلة الفعل فسدّ مسدّه، و دلّ على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك الإسراء ليلاً

وصفه بالليل و هو معروف أن الإسراء لا يكون إلا بالليل، لهذا فإن اللفظ القرآني نكر لفظ (الليل) لتقليل مدة الإسراء و أنه تعالى أسرى بنبيه بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة [44]. ثم أضاف إلى ذلك كله تشريف عبده و رسوله محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) بإضافة الهاء إلى عبده أي أسرى به جزء من الليل و ذلك أبلغ في القدرة و الإعجاز و دلالة على كمال القدرة و بالغ الحكمة و نهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين [45]. فإختيار اللفظ القرآني للفظة (سبحان) التي أستهلت به الآية الكريمة تدل دلالة قطعية على قوة العبارة و براعة السبك و جمال الأسلوب القرآني في إختيار الفاظه و تناسقها تناسقاً فنياً.

الجناس

و مما ورد من أنواع الجناس في هذه السورة الكريمة هو جناس الإشتقاق، و هو ما توافق ركنيه في الحروف و ترتيبها بحيث يجمعها الإشتقاق [46].

و منه قوله تعالى:((**و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين و لتعلُنّ علوّاً كبيراً**))[47]. فلفظ (علوّاً) مشتق من (لتعلن) و قوله تعالى: ((**من إهتدى فإنما يهتدي لنفسه و من ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**))[48]. ففي لفظ (لا تزر وازرة وزر أخرى) جناس إشتقاق لأنه جانس بين اللفظين و لأن كلاهما من إشتقاق واحد، أو لأن معناها هو لا أحد يحمل ذنب أحد، و لا يجني جان إلا على نفسه [49]. فالمعنى واحد لذا جانس الأسلوب القرآني بين اللفظين مجانسة تامة.

و من ذلك أيضاً قوله تعالى: ((**و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**)) [50]، فجناس الإشتقاق وقع في لفظ (قرأت القرآن).

و من أنواع الجناس الذي ورد في هذه السورة المباركة هو ما يعرف بـ (الجناس الناقص) و هو إختلاف اللفظين في العدد [51]. و من ذلك قوله تعالى: ((**و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصابر و إني لأظنك يا فرعون مثبوراً**)) [52].

فالجناس الناقص واقع في لفظ (مسحوراً و مثبوراً) لتغير بعض الحروف [53]. فترى الجناس في هذه السورة المباركة واقعاً موقعه بأداء بلغ تصويراً دقيقاً يستحيل أن يحل محله لفظ آخر و أن يأتي بتعبير آخر يؤدي الغرض نفسه.

الطباق

هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى [54]، و هو من المحسنات البديعية التي تزيد الكلام حسناً وبهاءً، و تزيده قوة إلى قوته "فيكون تقابل المعنيين و تخالفهما مما يزيد الكلام حسناً و طرافةً"[55].

و من ذلك قوله تعالى: **((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها))**[56]، فطابق بين لفظ (أحسنتم) و بين لفظ (أسأتم) مطابقة تامة و قال تعالى: **((من إهتدى فإنما يهتدي لنفسه و من ضل فإنما يضل عليها))**[57]، فطابق بين لفظ (إهتدى و ضلّ) لأن الإهتداء هو جزاءه الثواب و الإضلال هو الكفر و جزاؤه العقاب [58]. فكانت المطابقة بين لفظين مختلفتين في اللفظ و المعنى.

و قال تعالى: **((إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً))**[59]، فقد طابق التعبير القرآني بين لفظي (يبسط و يقدر) أي يوسع الرزق على من يشاء و يضيق على من يشاء و هو القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء حسب الحكمة [60].

و قال تعالى: **((ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم و ما أرسلناك عليهم وكيلاً))** [61]، فقد طابق بين لفظة (يرحمكم) و لفظة (يعذبكم) أي أن يشاء الله يرحمكم بالتوفيق للإيمان و إن يشاء يعذبكم بالأمانة على الكفر و العصيان [62].

و قال تعالى: **((و إذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجّاكم إلى البر أعرضتم و كان الإنسان كفوراً))** [63]. فلفظة (البحر) و لفظة (البر) متطابقتان متقابلتان.

و قال تعالى: **((إذاً لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً))** [64]، فالمطابقة واقعة في لفظ (ضعف الحياة) و (ضعف الممات). أي مضاعفة العذاب في الدنيا و مضاعفة عذاب الآخرة و لأن الذنب في العظيم جرم كبير يستحق مضاعفة العذاب [65]، لذلك طابق بين اللفظتين مطابقة تامة.

و قال تعالى: ((**و من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن يجد لهم أولياء من دونه و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً**)) [66]. فالطباق واقع في لفظ (من يهد) و لفظة (من يضلل)، و قال تعالى: ((**و بالحق أنزلناه و بالحق نزل و ما أرسلناك إلا مبشراً و نذيراً**)) [67].

فلفظ (مبشراً) طابق لفظ (نذيراً) مطابقة تامة في اللفظ و المعنى و قال تعالى: ((**ولا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها و أبتغ بين ذلك سبيلاً**)) [68]. (فالجهر) و (التخافت) لفظتان متطابقتان متقابلتان.

و بعد ذلك نجد الطباق قد أدى دوره في هذه السورة المباركة و أدى معناه خير أداء من غير تكلف و لا تصنع و هذا هو شأن التعبير القرآني في سوره كلها.

الإيجاز

الإيجاز هو جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة و الإفصاح [69] و دواعي الإيجاز كثيرة منها الإختصار و تسهيل الحفظ و تقريب الفهم و ضيق المقام و إخفاء الأمر على غير السامع و الضجر و السآمة و تحصيل المعاني الكثيرة باللفظ اليسير [70].

و الإيجاز على قسمين، إيجاز قصر و إيجاز حذف، فإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف و يسمى (الإيجاز البليغ) أما إيجاز الحذف فهو يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم و عند وجود ما يدل على المحذوف ضمن قرينة لفظية أو معنوية [71].

و مما ورد في سورة الإسراء من أنواع الإيجاز إيجاز الحذف ، قال تعالى: ((**إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**)) [72]، أي يقال له يوم القيامة إقرأ كتاب عملك[73].

و قال تعالى: ((**و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً**)) [74]، ففي قوله تعالى (أمرنا مترفيها) إيجاز بالحذف، أي أمرناهم بطاعة الله فعصوا و فسقوا فيها [75].

و قال تعالى: **((و آتينا ثمود الناقة مبصرة))** [76]، ففي هذه الآية إيجاز بحذف الموصوف و هو أنه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة و لم تكن عمياء أيضاً و إنما يريد التعبير القرآني من ذلك أن الآية مبصرة فحذف الموصوف و هو (آية) و أقام الصفة مقامة [77].

و قال تعالى: **((قل إدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلاً))** [78]، فقوله تعالى (ولا تحويلاً) أي و لا تحويل الضر عنكم حُذِفَ لدلالة ما سبق[79]. و من ذلك يتبين أن للإيجاز دوراً مهماً في هذه السورة المباركة يتضح ذلك في جمع معانيه الكثيرة بألفاظه القليلة مع بيان المراد و الإفصاح عنه.

المقابلة

هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[80]. قال تعالى: **((أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً))** [81]، فقد قابل التعبير القرآني بين الجملتين مقابلة لطيفة (يرجون رحمته) و (يخافون عذابه) فهم الذين يرجون بعبادتهم و توحيدهم رحمة الله تعالى و في المقابل من ذلك يخافون عذاب الله تعالى و عقابه و يتسابقون إلى رضاه [82]. فقابل بين الجملتين مقابلة تامة المعنى موجزة البيان.

قال تعالى: **((و قل ربي أدخلني مدخل صدقٍ و أخرجني مخرج صدقٍ و أجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً))** [83]، فقد قابل بين (أدخلني مدخل صدقٍ) و (أخرجني مخرج صدقٍ) و قابل بين (جاء الحق و زهق الباطل) و كل ذلك جاء على معاني متوافقة على الترتيب.

و قل تعالى: **((و لقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السموات و الأرض بصائر و إني لأظنك يا فرعون مثبوراً))** [84]، فقد قابل بين (و إني لأظنك يا فرعون مثبوراً) مقابل قول فرعون (إني لأظنك يا موسى مسحوراً) مقابلة لطيفة متوافقة المعاني[85].

الإستفهام الإنكاري

الإستفهام الإنكاري هو في الأصل طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة من أدوات الإستفهام المعروفة، و الإستفهام الإنكاري يكون إما للتوبيخ على أمرٍ في الحال أو إنكار للتكذيب في الماضي، أي أن المخاطب إدعى وقوع شيء فيما مضى، أو نزِّل منزلة المدعي فأُوتي بالإستفهام الإنكاري تكذيباً له في دعواه [86]. و قوله تعالى: **((أ فأصفاكم ربكم بالبنين و إتخذ من الملائكة إناثاً))** [87]، أي أخصكم ربكم بالذكور و خصّ نفسه بالبنات فإنه لم يفعل هذا لتقابله عن الولد مطلقاً [88].

و قال تعالى: **((أ بعث الله بشراً رسولاً))** [89] فالهمزة هي للإستفهام الإنكاري أي أن الله تعالى يرسل الرسول من البشر فلماذا يكون بشراً و لا يكون ملكاً [90].

الإلتفات

ورد في سورة الإسراء نوع من أنواع الإلتفات و هو الإلتفات من الغيبة إلى التكلم، قال تعالى: **((و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً))** [91]، فلما إهتم الله تعالى بيوم الحشر جاء الإلتفات بصورة بلاغية رائعة بالغة التعبير فهم يُسحبون يوم القيامة على وجوههم يجرَّهم الزبانية من أرجلهم إلى جهنم كما يُفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه و تعذيبه [92].

الفاصلة القرآنية

قال تعالى: **((أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً))** [93] و قال تعالى: **((و بالحق أنزلناه و بالحق نزل و ما أرسلناك إلا مبشراً و نذيراً))** [94] فنلحظ عظمة التعبير القرآني في سجعه الرصين إذ قال (تفجّر تفجيراً) و (مبشراً و ونذيراً) و هذا كله يزيد من جمالية الأسلوب و دقة التعبير في إختيار الألفاظ و تناسقها يزيد من قوتها و رصانتها.

اللف و النشر المرتب

قال تعالى: **((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً))** [95]، فقد عاد لفظ (ملوماً) إلى البخل و لفظ (محسوراً) إلى الإسراف أي يلومك الناس إن بخلت و تصبح مقطوعاً إن أسرفت [96].

الخاتمة

تمت في هذا البحث دراسة سورة الإسراء دراسة بيانية و بديعية تناولت فيها معظم فنون البيان و البديع إذ كان للإستعارة مكانتها في الآيات المباركات ثم المجاز العقلي كان واضحاً، إلاّ أن السورة خلت من موضوع التشبيه، و لعل السبب في ذلك أن السورة تتحدث عن إسراء النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و تهتم بشؤون العقيدة و الوحدانية و الرسالة و البعث و الحدث المهم فيها شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و كيفية عروجه إلى السماء الدنيا، ثم تناولت بعض الآداب الإجتماعية و الأخلاق الفاضلة و ما إلى ذلك، و تحدثت بعض الشيء عن ضلالات المشركين و إشراكهم بالله تعالى، لهذا كانت هذه الأمور تخلوا من التشبيه، و جاء الإستفهام الإنكاري ليثبت الوحدانية و تنزيه الله تعالى، إلاّ أن السورة فيها الكثير من الفنون البلاغية التي أغنت القارئ أو السامع بإسلوبٍ جميلٍ و قوة عبارتها و دقة ألفاظها و هذا هو شأن الأسلوب القرآني في معانيه و صوره.

الهوامش

(1) التصوير الفني في القرآن: 31.
(2) ينظر الإعجاز الفني في القرآن: 108.
(3) الإسراء: 40.
(4) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: 104.
(5) أسرار البلاغة: 335.
(6) الإسراء: 120.
(7) الإتقان في علوم القرآن: 361.
(8) ينظر التعبير القرآني: 28 – 29.
(9) ينظر صفوة التفاسير: 137/2.
(10) الإسراء: 59.
(11) ينظر صفوة التفاسير: 147/2.
(12) ينظر الكشاف: 630/2.
(13) الإيضاح في علوم البلاغة:270/2.
(14) الإسراء: 78.
(15) ينظر صفوة التفاسير: 152/2.

(16) الكشاف: 641/2.

(17) ينظر فلسفة البلاغة ، د. رجاء عبيد: 97 و ينظر اللغة في الدرس البلاغي، د. عدنان عبد الكريم:116.

(18) الإسراء: 59.

(19) ينظر صفوة التفاسير: 147/2.

(20) ينظر البلاغة و الإسلوبية: 69.

(21) ينظر اللغة في الدرس البلاغي: 104.

(22) البديع لإبن المعتز: 20.

(23) النكت في إعجاز القرآن: 790 و ينظر اللغة في الدرس البلاغي: 111.

(24) الإسراء: 13.

(25) ينظر الكشاف:610/2 – ينظر صفوة التفاسير: 137/2.

(26) الإسراء: 71.

(27) ينظر صفوة التفاسير: 2/ 152.

(28) ينظر التصوير البياني: 176.

(29) الإسراء: 24.

(30) ينظر صفوة التفاسير: 2/ 142.

(31) ينظر تفسير الكشاف: 616/2 و ينظر التوسل إلى صناعة الترسل: 136.

(32) الإسراء: 29.

(33) ينظر صفوة التفاسير: 142/2.

(34) ينظر مجمع البين:635/6.

(35) الإسراء: 64.

(36) ينظر الكشاف: 634/2 و ينظر صفوة التفاسير :148/2.

(37) الإسراء: 71.

(38) ينظر صفوة التفاسير:152/2.

(39) ينظر من بلاغة القرآن: 221.

(40) ينظر جواهر البلاغة: 370.

(41) شروح التلخيص: 282/40.

(42) الإسراء: 1.

(43) ينظر صفوة التفاسير: 132/2.

(44) ينظر الكشاف: 604/2.

(45) ينظر صفوة التفاسير: 134/2.

(46) ينظر جواهر البلاغة: 412.

(47) الإسراء:4.

(48) الإسراء: 15.

(49) ينظر صفوة التفاسير:136/2.

(50) الإسراء:45.

(51) ينظر البديع في ضوء أساليب القرآن:16.

(52) الإسراء: 101 – 102.

(53) ينظر صفوة التفاسير: 157/2.

(54) ينظر جواهر البلاغة : 376.

(55) المصدر نفسه: 377.

(56) الإسراء: 7.

(57) الإسراء: 15.

(58) ينظر صفوة التفاسير: 135/2.

(59) الإسراء: 30.

(60) ينظر صفوة التفاسير: 140/2.

(61) الإسراء: 54.

(62) ينظر المصدر السابق: 144/2.

(63) الإسراء: 67.

(64) الإسراء: 75.

(65) ينظر صفوة التفاسير:150/2.

(66) الإسراء: 97.

(67) الإسراء:105.

(68) الإسراء: 110.

(69) ينظر علم المعاني:136.

(70) ينظر جواهر البلاغة: 234.

(71) ينظر المصدر السابق: 231 – 232.

(72) الإسراء : 14.

(73) ينظر صفوة التفاسير: 137/2.

(74) الإسراء: 16.

(75) ينظر صفوة التفاسير: 137/2.

(76) الإسراء: 59.

(77) ينظر علم المعاني: 139.

(78) الإسراء: 56.

(79) ينظر صفوة التفاسير: 147/2.

(80) ينظر جواهر البلاغة: 378.

(81) الإسراء: 57.

(82) ينظر صفوة التفاسير: 145/2.

(83) الإسراء: 80 – 81.

(84) الإسراء: 101 – 102.

(85) ينظر صفوة التفاسير: 157/2.

(86) ينظر علم المعاني:75.

(87) الإسراء: 40.

(88) ينظر علم المعاني: 81.

(89) الإسراء: 94.

(90) ينظر صفوة التفاسير.: 155/2.

(91) الإسراء: 97.

(92) ينظر المصدر السابق: 155/2

(93) الإسراء: 91.

(94) الإسراء: 105.

(95) الإسراء: 29.

(96) ينظر صفوة التفاسير: 142/2.

المصادر: القرآن الكريم.

1. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، مط وزارة المعارف ، 1954.
2. الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، تونس، 1980.
3. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق لجنة من علماء في كلية اللغة العربية بالأزهر.
4. البديع لإبن المعتز، مكتبة المثنى ، بغداد، 1967.
5. البلاغة و الأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
6. التصوير البياني، د. حفني محمد شرف ، الطبعة الثانية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1973.
7. التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب، دار المعارف، د.ت.
8. النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن.
9. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة،1987.
10. البديع في ضوء أساليب القرآن ن د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1976.
11. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، أحمد الهاشمي، إنتشارات إسماعيليان.
12. حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق أكرم عثمان يوسف، 1980.
13. شروح التلخيص للتفتازاني، مط البابي الحلبي، مصر (د.ت)
14. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
15. علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية: الطبعة الأولى، 2006.
16. فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور، د. رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت).
17. الكشاف في حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 2001.
18. اللغة في الدرس البلاغي، أ.د. عدنان عبد الكريم جمعة، دار السياب، لندن.
19. مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي، إنتشارات ناصر خسرو، الطبعة السابعة.
20. من بلاغة القرآن ، د. أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الثالثة.